الصغار وبعض المقاتلين الذين كانوا يحبونه كثيراً ، كان ودوداً محباً للأطفال ، دمث الخلق محبوباً من الجميع ؛ السكان والفصائل المختلفة. صمد المخيم أربعة أيام أخرى واندحر الغزاة بسبب صمود المقاومة الأسطوري ، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب ، واكتسب المجاهدون خبرة كبيرة في حرب الشوارع ، وخبروا الجندي الصهيوني وجبنه عن قرب ، كان الأولاد الصغار يصعدون على ظهر أي مبنى قريب من الدبابات ويضربونه بالأكواع (العبوات اليدوية) ، ومنهم من كان يمشي في سراديب الأقنية في المخيم ويضع العبوات الجانبية بجانب الدبابة، ويفجرها كما فعل الشهيد منير وشاحي (قائد أشبال سرايا القدس).

كان الجنود الصهاينة عندما يدخلون إلى ساحة حارة أو بيت يقذفه الصبية بعشرات القنابل المصنعة يدويا ، مما يدخل في قلوبهم الذعر والإرباك، مما ساعد المجاهدين كثيرا في الصمود والمواجهة.

انتهى الاجتياح الرابع وقبل الأخير ، وقد هزم الجنود الصهاينة ودحروا من المخيم، وتأكدوا أن الدخول إلى المخيم مغامرة كبيرة ، وكتبت الصحف العبرية مقالات مطولة عن هذه المعركة واعترفت بالفشل ، حيث قال قائد الحملة : (إن مخيم جنين هو اخطر مكان في العالم) . وقال الناطق باسم الحكومة الصهيونية : (طالما لم يتم القضاء على السمكتين السمينتين- كما سماهما ، ويقصد الشيخ الشهيد القائد محمود طوالبة والحاج علي الصفوري- فإن العملية قد فشلت) . أ . هـ.

بموازاة هذا الصمود الذي كان مثاله الأروع محمود طوالبه رحمه الله ، كان ثابت المرداوي ومحمد ياسين رحمه الله، وبعد أن شاركا في اليوم الأول، واشتبكا عن بعد أمتار قليلة مع وحدة من المشاة، أخبرهم الناس فيما بعد أن هذه الوحدة حملت اثنين من أفرادها مصابين أو قتيلين أثناء الانسحاب، والأرجح أن قائد هذه الوحدة قد قتل على يد محمد ياسين ...

بعد هذا الاشتباك انسحبا من داخل المخيم، وتمكنا من إطلاق عملية استشهادية نفذها الاستشهادي عبد الكريم طحاينة يوم ٢٠٠٢/٣/٥ م. في العفولة، لتكون الحملة -بذلك- قد أخفقت على كل المستويات ...

في نفس هذه الفترة، وقبل يومين من عملية العفولة الاستشهادية، كان القائد الشهيد أيمن دراغمة، والمجاهد الشهيد فؤاد بشارات، يرتقيان شهيدين في الأغوار يوم ٣/ ٣ / ٢٠٠٢ م. وهما يحاولان تنفيذ